

# مفهوم الموت والحرية في شعر البياتي

بقلم هيلج عبد الرحمن

العشرين اليوم ! ولكنه رغم العناء والمرارة لا يدوب في التهويمات، ويفقد صلته بالحياة ، انه يكره الموت لانه يحب الحياة ، اروع منح الوجود ! والبياتي الشاعر المهرف ، لا يقف من الموت خطيبا جامد العبارة ، حامد العاطفة ، مستهينا بهذا القول المقترس كما يفعل بعض صغار الفنانين الذين يشوهون بهذه النظرة الضيقة السطحية اول ما يشوهون المدرسة الواقعية ، مختفين وراء الجمل المحفوظة التي لا تختلط بعاطفة انسانية ، ولا تنبع من معاناة حقيقية ، البياتي يعبر عن الموت كفنسان وليس كعالم ، كمنفعل وليس كمحلل ، وهو حقا يستهني بفلسفة ذات قوانين موضوعية ، ولكنه يمتلك الذاتية والاصالة ، وبهذا ايضا يفتقر شاعرنا عن بياضات الفلسفة التشاؤمية الميتة، التي تعمق المأساة ولا تملك لها حلا ، والذين اضحت عباراتهم النائحة خالية من المعنى والعمق، لقد تهرأت اشعارهم المستعارة من التداول، وتحولت الى تقريرية سخيقة.

البياتي لا يفصل في انفعاله الموت عن الحياة ، وهو لا يريد ان يموت لانه يحب الارض والاطفال والزيتون ، وكل المسرات ، ان الموت شيء كرهه للغاية يحيل وجودنا في لحظات الى بشر سحيقة من الاحزان واللامعنى ، ولكن ليست هذه فمة المأساة ، المأساة الحقيقية هي ان نجيا ممرغين في احوال الفقر ، تنهشنا انياب العبودية ونفقد قدرتنا على تخطيط مصيرنا واختياره ، فمة المأساة حقا ، ان يفكر بعض ورتة مخلفات القرون في اغراق العالم في الدماء حتى هذه الحياة القصيرة ملهمتنا على التفكير والعناء والحب لا يريدون لنا ان نحياها ، وبهذه النظرة المنفعلة المتكاملة للمأساة ، يربط شاعرنا بين قضيتي الموت والحرية ، فالحرية تعني الحياة - كما يقول لوروكا - وتعني ايضا ان نفكر احراراً طلقاء في كل المشاكل وحتى في مشكلة الموت الخالدة .

عبد الوهاب البياتي اذن ليس عدما وجوديا ، من اصحاب الكلمات الماثورة المهترئة ، وان الحياة لديه فوق الموت ، والنضال من اجل ان تكون سعيدة مشرقة هو الواجب الذي اعطاه كل ذرة من دمه ، ومع ذلك فان استهاده بفلسفة علمية لا يعني حتى من وجهة نظر هذه الفلسفة على الاطلاق ان يستقبل الاحداث في نثرية لامبالية ، في جمل محفوظه، وهتافات مستجدية للتصفيق وهذا يعني انه ادرك بموهبته اولا وعمق انفعاله ، ثم بثقافته ماهية الفن الحقيقية ، مادته واسلوبه ، الاختلاف النوعي بين الفن والمنطق ، وماهي حدود ووظيفة اللغة في كل منهما - وهذا ما اوردنا له المقدمة الضرورية .

لنترك هذه التعميمات الى النماذج والتطبيق !

لقد هز اعماق البياتي موت همينجواي الذي تغفل في مأساة الموت، صريحا بيندية صيد ، اي قدر عابت ، اين الفلام ؟ صرخة دامية اطلقها همينجواي ، حينما تلوى الصاري ، ونهشت الجوارح عظام السمكة في اعماق البحر ، لقد صور في - الشيخ والبحر - رحلة الانسان المهفة اصراره على سحق الفشل ، ولكن همينجواي يرى ان المصير لا يرحم الانسان ، لقد ماتت كاترين وهي تلد الحياة ، وقد مات همينجواي منتحرا ايضا .

اين الثيران الحقيقية التي صرعته ؟ اين من اغلقوا في وجهه اسبانيا ؟ ما هو دور الصحف الفاشستية في مقتل همينجواي ، هل تفلق عين البياتي مأساة موت همينجواي ، عن صانعي الموت في مدريد ، قتلة لوروكا والاف الشهداء :

رفع الكائن المهش فامته يوما في الغاب ، ودار مع الارض ومن خلال مشاق لا حد لها تتمثل في كفاحه العنيف لتخطي حيوانيته ، ومن تبادل التأثير بين عقله والواقع الموضوعي ، الفكر والآلة ، ومن التطور الهائل الذي صنعتته ادوات الانتاج ، في وعيه بنفسه ومعيطه ، نعت وتطورت اللغة والفنون . لقد كانت اللغة ضرورة حياتية تجسد التفكير والشاعر ، كل نقطة تحمل شحنة من التجارب والانفعالات ، وان كانت لغة العلم طبيعتها التجريد والتحديد ، فان لغة الفن تتصف بالتعبير والتصوير ، وهكذا وافق الفن العلم ، نبعنا من شروط موضوعية محددة، واختلغا شكلا ومحتوى ... ومن كان الفن العظيم يحمل في تصاعيفه خيرة العلم ، وروعة الفكر ، وشمول المعرفة ، وان كان الفن العظيم يحمل في تصاعيفه خيرة العلم ، وروعة الفكر ، وشمول المعرفة ، وان كان التكنيك الذي تستخدمه الفنون والاداب ( اللغة ، ادوات الموسيقى، الرسم الخ. ) مشروطة بتطور مادي وتاريخي معين ، وينعكس هذا كله في المحتوى ويؤثر فيه - سلبا وايجابا - الا ان هذا ليس قانونا ميكانيكيا . فقد وجد على مدى التاريخ الفنان العبقرى الذي يتخطى عصره ، وينفذ باشعاعات وجدانه وفكره الاطر والعلاقات الاجتماعية ، ويكتسب فنه بذلك الخلود . هذه مقدمة ضرورية لفصل اولا بين الفن والعلم ، ولنحدد العلاقات السليمة بينهما ، فالفن لا يعادي العلم، وان كانت وظيفته اعم ، ونظرته اشمل ، وانعكاس الواقع اوضوعي على عدسه الفنان والوجدان يعبر عنه بالصور ، بينما يعبر العالم بالفاهيم والتجريد !

ولكن السؤال : ما هي علاقة هذا الحديث النظري بعبد الوهاب البياتي ؟ ان هناك علاقة صميمية بين المفهوم السليم للادب ، طبيعته وشروطه وبين الشاعر ، وخاصة ان البياتي يعتبر بالنسبة لادبنا العربي قمة عصرية في الادب الواقعي ، ليس فقط لانه استوعب واسترشد بالمعارف الانسانية وحركة التاريخ ، ولكن موهبته وتوقد عواطفه تتخطى الاشكال بل والمضامين السائدة ، وتنفذ في عمق وذكاء الى افاق ومشاكل ابعد يطرحها واقفنا الصاحب المعقد ، والعصر الذي يكاد ان يقذف ويبدفن كل حضارانا ومكتسباتنا في هوة الموت الفظيع ، ومن ناحية اخرى يكاد هذا العصر ان يبلور الحرية الحقيقية للانسان والمجتمع معا ! . هكذا يجتاز عصرنا اخطر ازمة تاريخية وتعاكس متصارعة قوى الظلام التي تملك في ايديها اسلحة التدمير الرهيبة ، الهيدروجينية والتشويه النفسي والخلقي ، وقوى الخير التي تدافع عن مقدسات الانسان بذات السلاح الهيدروجيني ، وان رفعت وتوجت شعارات السلام والعدل ، ويقف عبد الوهاب يسحقه هذا الصراع ، وتمزقه الفضائح والاكاذيب ، وترفع رأسه فوق هذا الطوفان . بطولات البسطاء ، ونضالات الشعوب، وامل الانسان في الانتصار .

قضيتان رئيسيتان - في هذا الديوان - تحتل من وجدان شاعرنا اعماق الاهتمام ، وتلفه بضباب الغربة والتمزق ، وتلفحه بنيران الكفاح، وغبار المارك ، وتلتقي في بؤرتيها كل الخيوط والانعطافات النفسية والتعصيرية والعاطفية : الموت والحرية ، وهما اخطر قضايا العصور ومشاكله الفلسفية ، وشاعرنا يعبر عنهما في توهج وصدق !

كيف يعبر البياتي عن الموت ؟ انه يتغفل في هذه المأساة الرهيبة، التي لم يعها الانسان خلال كل العصور ... مثلما يعيها انسان القرن

الموت في مدريد

والدم في الوريد

والبريق تحت اقدامك والجديد

ايجاد اسبانيا بلا مواكب

احزان اسبانيا بلا حدود

اي مرارة تضحها هذه الابيات ، واي نغم اسبان ، اجل احزان

اسبانيا بلا حدود ، انها تتسربل في الدموع .

ان تدق هذه الاجراس ؟

لوركا صامت

والدم في آنية الورد

لقد كان الحكم الفاشستي في اسبانيا هو المجرم الحقيقي ، ولقد

قال هيمينجواي يوما ان الفاشية كذبة بقاء لا يصدقها الا الرضى ، الدم

في آنية الورد ، هذا احساس الشاعر بالتناقض ، ان عبارات الفاشست

الطنانة ، وزخرفة العبارات وتزوير الشعارات لا تطمس الحقيقة :

وليل غرناطة . تحت قبعات الحرس الاسود والجديد

يموت ، والاطفال في اليهود

يكون

لوركا صامت

وانت في مدريد

سلاحك الالم

والكلمات والبراكين التي تقذف بالحمم .

انها مدينة الخراب ، حيث يبكي الاطفال في اليهود ، والدم في

آنية الورد ، صور تثير القشعريرة ، وتجلدنا كالسيات ، ولكننا لم

نسمع صراخا او هتافا او استعراضا فارغا لعضلات الالفاظ . والحزن

هنا انعكاس عميق يعبر عنه الشاعر بالصور التي تقطر دما ، ووراء هذا

النغم العميق ، وفي يجذور المشكلة ، بامتدادها الانساني ، باسبابها

الموضوعية وهذا هو الدور التعليمي في الفن مختلفا كالانهار التحتية

في الصحراء .

ويعود الشاعر الى مأساة هيمينجواي نفسه :

ان تدق هذه الاجراس ؟

انت صامت ، والدم

يغضب السرير ، والغابات والقمر

ولكن الصمت لا يجدي ، وكذلك ان تفرق في المأساة جريمة ،

وهنا الجانب الاخر ، والوجه المشرق للشاعر ، فالحياة اسطورة خلابة،

كل ما فيها : روعة الذكريات الجمال ، الموسيقى ، الأصدقاء ، الشرف،

اروع ما في الحياة انحيائها :

النار في الدخان

والخمر في الجرة ، والوردة في البستان

والكلمات والعصافير ، وداء الحب والزمان

كل شيء يثير النشوة ، يوقف الحس ، يدعو الى الحب ولكن؟

صمت البحار اقلق الربان

يكان ... يا ما كان

كان صراعا داميا بين قوى الظلام والانسان .

اي معنى لهذه الحياة ان ركبت كسطح البركة المتعفنة ، ان احنينا

الجياه لقوى الظلام ، ان خوت من الهدف النبيل ، وطمست انسانيتنا

مخالب الهوان .

ما هو الثمن الذي يدفعه الشرفاء ، حينما تتلقفهم المقادير

والشباك ، وتلتهمهم حرائق الاعداء ، وتمتص قطرات حياتهم واجبات

الكفاح ، وهم اقوى اقبالا على الحياة والحب .

الساعة الثامنة ، الليلة

في حديقة النسيان

سنلتقي !

وغاب في شوارع المدينة المجهولة المكان

وانتجبت صبية

واطبقت عينان

وجدته في كتب الرحالة الاسبان

كان يفني تحت رايات شعوب الارض ،

تحت راية الانسان .

ويعود البياتي بعد ان ينهي مقطوعته بتأثيرية موسيقية حزينة

كالصدى المنفوم الجنائزي ، نشدنا الى الزهو بالبطل ، الى الاقتناع

بدوره على مدى التاريخ ، وانه لم يذهب هدرا ، فحتى الاطفال يطبقون

الاعين وينتخبون ، يعود الى الموت من جديد ، لحقيقة مجردة بشمة ،

ترتعد من مجرد تصورها القلوب .

ويسوق الشاعر بعض كلمات اللوركا ، الذي كان يستبشع الموت

الرخيص في اسبانيا ثم اعدم بالرصاص ، والهتمة مأساته وجدانات

الشعراء في شعبه ، وفي كل مكان ، وهنا يركز البياتي كلماته ، ويفدو

النغم قصيرا تأثيريا ، وكأنه ينبع من اعماق لا حدود لها ، وتصيح الكلمات

طاقات موسيقية ذات ابعاء وظلال ، كان النشر والسرد ، اي محاولة دون

هذا الشكل ، لا تستطيع ان تلمس المأساة :

الموت حثف الانف

لوركا قال لي

وقال لي القمر

ضيعتني

ضيعك الوتر

موتك الضجر

رحلت والربيع في طريقنا

وارتحل الفجر

واحرق خيامهم

واحرق الزهر .

اية نهاية للانسان حين يرحل والربيع في طريقه اليه ، يسحقه

الضجر ، فالريح في مواجهته ، تعصف باحلامه ، وتجره الى هاوية العدم .

ازاء هذا المصير لا تملك الا اغنية ينزف منها الدم ، فاي منطق او

فلسفة حكيمة تستطيع ان تبرر هذه النهاية ، فلنكن صادقين ولنعترف

ببشاعة هذا القانون الصارم :

سألت عنك الشيخ محي الدين

قال : في فمي حجر

رسالة العشق ومعبودك تحت قدمي ، القمر

مذايح العالم في قلبك والاطلال والذكر

قال صديقي الشيخ محي الدين ، لا تسأل عن الخبر

فالناس يمضون ولا يأتون ،

والسر على شفاهنا انتجر

وان كانت المأساة تعتمر الشاعر ، وتجذبه اجيانا الى الطريق

السدود ، فذلك لان لديه قلبا يمور بالحياة ، يحب ان يعيا كل لحظة ،

يجسدها في انعال ونغم وقصائد ، ولهذا ، وانطلاقا من عشق الحياة ،

فان البياتي تنهار لديه امام الموت كل السدود ، الخلاقات الفكرية

والعقائدية ، تختفي حينما يموت البير كامو ، فيدعوه الشاعر الى العودة

للبيع ، لامنا الارض ، لحياتنا اليتيمة البهيجة :

سبعة اعمار على التلال

حافية ، اسلحة ، اقوال ،

ضماير ، افعال

للبيع - انت متعب تعال

تهيم في حدائق الليال

تطارد الظلال

نرقب فجر العالم الجديد في الجبال

نمسك في شياكنا فراشة المحال

نشرب شاي العصر في وهران ، فالاغلال

ادمتك يا سيزيف

يا فارس عصر ادرك الزلزال .

الفكري وتنميق الالفاظ ، والشعارات المزيفة ، يكره كل الذين يبصرون  
ضما نهم في سوق النخاسة فانه قد التزم موقفه الفكري والعقائدي ،  
اختار طريق الحرية والاحرار رغم وعورة هذا الطريق .

وفي هذه القصيدة التي تعبر - من وجهة نظرنا - عن تعشق  
البياتي للحرية ، للشرف عن شجبه لادوار الحقيرة التي تستغل فيها  
الفنون ، تكتشف لماذا يقتصد البياتي في كلماته ولا يثرثر ويبوح ويحلل،  
وانما يشي ويوحى ويكثف :

سيداتي ، سادتي  
خطبتي كانت قصيره  
فانا اكره ان يستغرق اللفظ زماني  
ولساني  
ليس سيفاً من خشب  
كلماتي ، سيداتي ، من ذهب  
كلماتي سادتي ، كانت عناقيد الفضب  
وانا لست بسكران ولكني متعب

والموقف البطولي الذي يلزمه الشاعر من قضية الحرية يسوق  
له كثيرا من التاعب والغربة والضياح ، فهو ليس بطلا أفريقيا ، خارقا  
للغاية ، ولكنه معذب منهول بالنفس :

الشموع انطفت  
والليلالي بردت  
وانا احمل قلبي في حقيقه  
مثل طفل ميت أغرق ، بالدمع صليبه  
عبر الاف الخيانات والاف الاكاذيب الحقيقه  
خطبتي كانت قصيره

والانسان الشاعر لا يهني هنا وانما يتألم في صدق ، انه واع  
بعذابه تعصره المشاكل ، وتشدخ طاه الى التضحية فضايا امته والانسانية:

وانا لست بسكران ولكني اسخر  
من عذابي  
وانا لست بقيصر  
ان روما تحترق  
ان روحي تختنق  
بين الاف الخيانات والاف الاكاذيب الحقيقه  
فوداعا  
سيداتي ، سادتي ،

واختيار الشاعر لكلمات : سيداتي ، سادتي سخريه ذكية من  
اكاذيب الدعاية ، والخطابة الجوفاء وهو يرسم بذلك جوا نفسيا للمقابلة  
بين الصدق والكذب في الفن والحياة .

وحرية البياتي في ان يحزن ، والا يخضع احساسه لغمر التجربة  
النفسية ، تعطي لهذا اللون بالذات اروع ما في نعمانه من صدق واصالة  
واداء فني هادر من القلب ، فالغربة التي تلون حياته ، والاحساس  
بالضياح والقلق من المصير الرهيب تمنح قصائده كل الدفاء والشاعرية،  
وهو لا يخط مشاعره تلك ، بمقاييس مسبقة ، وانما يتركها تحكي كما  
تريد عن الاسى ، وهي مهمما جمحت فلن تستطيع ان تنفصل في النهاية  
عن خطه الفكري :

تركتني يسوع في منتصف الطريق  
أخف كالنواة ،  
كالكتاب فوق الرف  
كالفريق  
انزف في مجاعة الحريق  
دما ،  
اموت  
كلماتي احترقت  
يسوع  
في منتصف الطريق

أن البياتي تشي كلماته بعناب مرير لالير كامو حينما يقول :  
عالم نشرب تساي العصر في ومران ، وبروب الفجر الجديد على التلال ،  
انه يحته على الحياة ، ان يطلق صيحة الظفر ، ويوفد النيران في الافكار،  
ولكنه مشدود الى حجر تفمره الاعتساب والاملاح والمطر ، وتنتهي الرئية  
الانسانية التي نحتشد فيها انفعالات الغربة والعجز والنعاطف، مساندة  
الانسان لآخيه الانسان ، الى بيين من اسعر يلخصان في اعجاز بلاغي  
عجيب ، كيف ان كل هذا انداء الدامي الولهان يذهب عربيا كالريح  
في الحلاء لانه لا مفر من النهاية :

النهر للمتبع لا يعود  
النهر في رحلته يكتسح السدود  
فالير كامو قد حكم عليه التاريخ ، ولن يشفع له نداء ما بالعودة،  
فالانسان له حياة واحدة ، فهذا ما يدفع البياتي الى التمسك بالحرية ،  
ولكنها ليست حرية مطلقة وجودية ، انها تحرير الانسان من فيسوده  
الاجتماعية ، لينطلق الى المحرر والاختيار الكاملين .

قبل الحديث عن الحرية في مفهوم البياتي ، احب ان اسجل  
الاهمية انقصوى لفهم الشاعر لوظيفة اللفة في الشعر ، انها لديه  
مركزة وموحية ، الضروري للصورة من الالفاظ ، والكلمات عالم ثري  
خصيب فالاختيار اذن يحتاج الى موهبة فذة .

مشهد عجيب ايضا عن موت انسان بسيط ، فنان يغني للقمر  
والحياة ، وتلاشى اعداء نعمانه ، فيهنز الشاعر من الاعماق ، ويشير  
فيها انفعالات لا حد لها ليست من خلال الصورة الشعرية التي رسمها  
في تركيز مذهل وانما من خلال القافية الحزينة والكلمات المنقسمة  
في الدم :

- ١ -  
رأيته يلعب بالقلوب والياقوت

- ٢ -  
رأيته : يموت

- ٣ -  
قميصه ملطخ بالتوت  
وخنجر في قلبه ،  
وخيط عنكبوت  
يلتف حول نايه المحطم الصموت  
وقهر اخضر في عيونه  
يقب عبر شرفات الليل والبيوت  
وهو على قارعة الطريق في سكينه يموت

صورة مركزة مليئة بالرموز فهذا الفنان عبقرى يلعب بالقلوب  
والياقوت ، يحب الخضرة والطبيعة والحياة ، ويكده في خصمهما ،  
فقميصه ملطخ بالتوت ، وخنجر منغمس في قلبه ، وهنا رمز لوحشية  
المجتمع ، وهمجية الموت معا ، والضياح والغربة يرمز بهما بالعنكبوت  
الذي يلتف حوله نايه الصموت المحطم ، انه النسيان والعقوق ، ولكن  
هذا الفنان الذي لا يرمز فقط لهذه الفئة الشقية ، وانما يجسد كل  
الناس البسطاء ، الذين تصرعهم ظروف القهر وهم يشفقون الحياة ولا  
يعرفون الكراهية ، يتلاشى القمر الاخضر في عيونه ، يقب عبر البيوت  
وشرفات الليل ، وهو يلفظ انفاسه في سكينه ونيل !

والادوات الفنية هنا لا تستخدم البلاغة العربية بمفهومها القديم  
( الكناية او التشبيه والمثبه به الخ . ) وانما تلجأ الى الرمز ، التوت،  
العنكبوت ، الناي ، الخنجر الخ . ، وتلتحم هذه الرموز لتخدم فسي  
النهاية المحتوى الانساني والدلالات التي تكتنز بها القصيدة .

وثمة ادراك رافع لدور القافية في القصيدة الجديدة ، انها خاتمة  
موسيقية تثبت الانفعال ولا تخنقه ، وهي متموجة متداخلة ، تميز الشعر  
العربي عن غيره ، فازاء قصائد البياتي لا يسمع الا ان تتذوق قصائد  
عربية لحما ودما ، عربية من طراز جديد مستفيدة من الاشكال العالمية ،  
والثقافات الانسانية ، والتجربة العميقة في حياة الشاعر ومن نضالنه.  
ولان البياتي يكره تزييف انفعالاته ، ويمقت البغاوية والمهسر

حدائق الثلج بقلبي اظلمت ، وانطفأ البريق .  
فاين يسوع اذن ليطفىء هذا العذاب ، انه يحمل صليبه ودمه  
ينزف في قبعتي ، وقد تنكر له الناس من حوله حتى مدينته قد دمرها  
الزلازل وعانت بها القران ، وغاض الماء في العيون :

بحثت عنك طول ليل الليل  
وانتظرت ،

ان تمر في الطريق

تمد لي عبر المتاريس يدي صديق .

ويرسم صورة خلفية لهذا العذاب المقيم الموحش ، فلا مندبسل  
يلوح بامل ، ولا فتدليل في طريقه ، وهو في هذا الشعر النابض بحرارة  
المعانة والصدق الشعوري ، يتالق ، حتى تكاد ان نسمع ازيز الحريق  
في دمه :

النذب في الاقول

يعوي

وغابات الليالي احترقت

ومات في المجهول

سر صفر صامت مفلول

وهذه الوحدة الحزينة ، والاحساس بالسأم واللاجدوى لحظات  
تنبع من حرية البياتي في اختيار الموقف الذي يمليه الضمير ، وهي  
لحظات انسانية لا ينكرها الا الفارقون في صقيع التجريد ، والبطولة  
المستعارة ، ومن اجل هذه الحرية يخاطب الحرف العائد « ستدباده في  
رحلة الحياة » :

ايها الحرف

الذي علمني حب الحياة

ايها الحرف الاله

اه لا تطفىء مصابيحك اه

كل ما اكتبه محض صلاة

لك ، للعالم ، ما اكتبه

محض صلاة

وسلاح في يدي ضد السلاطين واحفاد الفزاه .

لقد علمه الحرف كيف يجوب البحار ، ويشهر سلاح الكلمة في  
اوجه الاعداء ، ولكنه في غربته - النفسية والمادية - لا يلفق الاحاسيس  
العنترية ، التي تختصر الالم لتتفق ببطولات مفتعلة ، فالبطولة الحقيقية  
ان تحترق ، بلا ركوع ، وان تصرخ دون ان تحيد عن العقيدة ، وان تلهث  
في الطريق الوعر ولا تسقط في الاحوال:

انني احمل بغداد ممي في القلب من دار لدار

ابدا لن يستر الثوب العار

عري اهلي

اه من عري التفار

اه لو عدت الى بيتي

لزقت مكاتيبي وارواق الفبار

ولعلمت الصفار

كيف ابخرنا على مركب نار

وازاء هذه الحرية التي تجسدها قصائده الذاتية ، فانه يقسم  
للحرف ان شرعه قد اقلع مع ربح الكلمات ، وانه سيحتضن الصدق  
حتى النهاية :

ايها الريح الذي يحمل مركب

سندبادي

ايها الحرف المقلب

ايضا تهب اذهب ...

... ان كيسي بالنجوم

بالاذهار مليء بالكروم

مك الليلة خنفي

ايها الحرف الرؤم

عبر غابات الليالي

وبسانين الهموم

...

لتهب العاصفه

لتهب العاصفه

وقد هبت الاغاصير على شبابه ، ولكنها لم تطفىء جذوة قلبه ،  
فماذا يريد هذا الفارس من الحرف ، ماذا يجذبه لمعركة المصير ؟ هنسا  
يلو البياتي على احزانه ، ويمتشق الحسام ، تعري كلماته ظلمة الزيف  
ولا ترهب اوتارها :

الشمس والفارس فوق المدخنة

ينازل اللصوص والمشوهين

بالحروف المؤمنه

يزرع صيف الازمنه

يثار للحقيقة المتهنه

يحمل في ضلوعه صليبه ووطنه

يموت

فوق المدخنة

وحائط الرصاص والنوافذ المسننه

يمد الف خنجر منها

والف لفظه مبطنه

لتطعنه

لتطعنه

وهو يموت حاملا صليبه ووطنه

ان التعبير عن الموت هو اوسع حقائق الوجود ، والتغني بالحرية  
وهي اروع ما في الرحلة المكثورة للانسان ، تكسيان هذا الشعر كل زخمه  
وعيقه وعمقه ، وبالقدر الذي يلتهب فيه الشاعر بالتجربة ، وبمقدار  
الصدق الذي يعبر به عن المعاناة ووعثاء الطريق تلتهج الوحدة النفسية  
في نسيج حي من الايقاع والصور ، وتباعد الكلمات العامة ، والمصاني  
المجردة والتهويم ، وتبدو كان هذه الثبرات الرائعة الصادقة لم تطرق  
اذاننا من قبل .

وكما لا يستطيع انسان يمتلك ضميرا حيا ان يفض الطرف عمسا  
يدور على كوكبنا اليوم من مشاكل ، وما يمور فيه من صراع ، وكما لا  
نملك - شئنا ام لم نشأ - الا ان نقف في طرف من المعركة ، حتى ان  
دفنا الرأس في الرمل ، فان البياتي كشاعر واع صادق في التعبير عن  
صوت امته ، مساهم في نضالاتها ، يتقبل كل ما يترتب على هذا الموقف،  
وعزاؤه في ذلك الشعر ، واصوات رفاقه الشعراء العرب ، ونغمات  
اراجون وناظم حكمت وبابلو نيرودا وكل من حمل القيثارة وصليب  
العذاب ، فمن خلال الاصوات المؤمنة يزداد اصرار الشاعر ، يناجى  
اراجون :

كلماتك الخضراء في ليل انتظاري

نفذت بلحمي مثل نار

ثارت الى صمت البحار

عبرت صحارى

حلت بداري

ضيفا

وباتت في قراري

وكلمات اراجون تبلل احزان الشاعر ، وتغوب من قلبه هموم الغربة  
والبعد عن الوطن ، وتنكر الاصدقاء ، تماما مثل كلمات البياتي في هذا  
الديوان (1) .

## جيلي عبد الرحمن

(1) كرسى هذه الدراسة لديوان الشاعر الجديد «النار والكلمات» .